تعامل اليابان مع الصراع العربي ـ الاسرائيلي

د. خيرالدين عبد الرحمن

تشير الدراسات القليلة المتوفّرة، وكذلك الملاحظات الشخصية، الى ان الصورة العربية في الذهن الجمعي الياباني ـ شأن الصورة اليابانية في الذهن الجمعي العربي ـ لا تزال محدودة للغاية، مشوّشة الملامح، تختلط فيها رائحة النفط بتخيّل قوافل الجمال تسير على كثبان الرمال الغامضة، وتقاطع خطوط الكوفية الفلسطينية، التي تثير تداعيات نشاطات لعناصر من الجيش الاحمر الياباني في السبعينات، مع خطوط مرتبكة لعالم غريب، بعيد، قاحل. بل ان العديد من اليابانيين استغربوا، في أحاديث معهم، القول ان الفلسطينيين شعب آسيوي، فشبه القارة الهندية تمثّل، بالنسبة اليهم، تخوم آسيا.

ومثلما يتحاشى الخطاب السياسي، والاعلامي، وحتى الاكاديمي، في أوروبا واميركا استعمال، أو حتى قبول، مصطلح «الوطن العربي»، أو المنطقة العربية، مصرّاً على استخدام مصطلح «الشرق الاوسط» الذي أوجدته اوروبا رفضاً للعامل القومي الذي يوحّد منطقتنا، وتكريساً للهدف الاورو ـ اميركي الراسخ باقحام اسرائيل قائداً مركزياً (commanding core) في نظام اقليمي «شرق أوسطي» يحل محل النظام الاقليمي العربي الراهن، فان الخطاب السياسي، والاعلامي، والاكاديمي، في اليابان اعتاد استعمال مصطلح «غرب آسيا» (West Asia) في الاشارة الى منطقتنا. ولم يتردّد سفير ياباني ناقشته في أمر هذا المصطلح في الدفاع عن سلامته وبداهته، باعتباره واقعاً جغرافياً أزلياً، بينما رأى ان حصيلة تعامل أكثر من عشرين دولة عربية فيما بينها، ومع الآخرين، لا تعطي العروبة أولوية، ولا تجعلها قيمة دائمة، وانما ترجح ـ في رأيه ـ انها قيمة طارئة، ضعيفة الجذور!

وقد عزّز من محدودية الصورة العربية وتشوّشها في الذهن الجمعي الياباني توجّه اليابان الطاغي، منذ هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، الى قصر العلاقات والاهتمامات على قدر الحاجة اليابانية تماماً، وفي إطار المسموح به أميركياً.

الّا ان تغيّرات عميقة اجتاحت، وما زالت تجتاح، اليابان في السنوات الاخيرة، بعضها ظاهر بوضوح، وبعضها الآخر يأخذ مداه، ويحفر مجراه، بهدوء، تحت السطح، وجلّها ناجم عن التوق الى الموازنة بين القوة اليابانية الاقتصادية الهائلة، وبين الدور الدولي لليابان، بحيث يتمّ التخلّص من التوجّه السائد بردود الفعل، لا بمبادرات ذاتية مستقلة لحماية المصالح الاقتصادية فحسب، تمهيداً لتطوير دور ياباني عالمي خاص. وهنا أشارت تكهّنات عدة الى ان اليابان، في أقصى شرق آسيا، مثل ألمانيا في وسط أوروبا، تسعى الى تعزيز انتقالها من قوة اقتصادية كبيرة ـ أو كبرى بالاحرى ـ الى قوة اقتصادية ـ سياسية كبيرة، وحتى كبرى، مع مطلع القرن الحادي والعشرين، دون اهمال الجانب العسكري، على الرغم من حساسيته الشديدة. ويتمّ هذا الانتقال بحذر شديد، حتى لا